ديني قلبي وانما هم كانوا متعصبين في الظاهر مجاراة لذلك التيار الذي كان متدفقاً في عصرهم اي تدفق قصد نفع الاسلام باذلال الروم وطردهم عن التخوم كما ان ذلك التيار كان مالئاً كل مكان في الدنيا بحيث لا يعد عجيباً اذا جاراه العقلاء من طريق التقليد او دعوة المصلحة السياسية واما ان المرحوم الاسكندر الثالث يقول « ولكنهم صلبوا المسيح » ويقوم المرحوم البابا بيوس فيغري رجاله بهم ويقوم اسقف ايرلندا فيدعو سامعيه الى ظلمهم واذلالهم فمما لا يصح ان يعدوا فيه بمنزلة الوليد وابي العلاء والمتنبي لان اولئك كانوا حيثما التفتوا يرون التعصب جارفاً اياهم معه فينقادون اليه واما هؤلاء في هذا الزمن فليس التيار بشديد عليهم الى هذا الحد ولا الى معشاره وليس القول بصلب المسيح من الاقوال التي تدعو الى حقد الاكابر واولي الفضل وعلى هذا فاما ان يكون الكاتب مختلقاً هذه الدعاوى وهذا غير مرجح لان الكذب لا يبلغ هذا الحد ولاسيما وهو يعين الاسماء والامكنة واما ان يكون الذين ذكرهم متعصبين حقيقة تعصباً دينياً وهذا غريب منهم ومن امثالهم ولكنه قد لا يعد غريباً اذا اعتبر ان للانسان بعض الجوانب الضعيفة التي تجعله في حد الصبي على حين يكون فيلسوفاً كبيراً في تلك الجوانب

الا ان دعوة الكاتب اولي الرحمة ورجال الدين المسيحي الى تقرير حالة تضمن لسلامة الاسرائيلين في الحاضر والمستقبل تعد من الدعوات الواجبة الاتباع جداً في هذا العصر المنير لانه كيفما كانت حالة الاسرائيليين وعداؤهم المالي والسياسي والديني لسائر الشعوب فانه من العار على هذا القرن ان يقتل فيه من طائفة من بني الانسان مئة الف نفس من بضعة

اشهر وهم الذين قتلوا في روسيا بهذه السنة من اجل انهم اسرائيليون ليس الا

﴿ مضار العلم ﴾

ما برحت هذه المدنية وهي كلما نفعت الناس بشيء اضرتهم بشيء واذا اراحتهم من ناحية اتعبتهم من ناحية حتى لقد احتار الناس في الظن باي الحالتين احسن الحضارة ام البداوة

انه لا ينكر ان الحضارة قد جاءت الى الناس بمنافع ربما ما جاء بها قرن منذ نشأوا حتى الان فهي التي اراحتهم من مظالم الملوك والحكام وسلطة رجال الدين وساوتهم في الحقوق وجعلتهم متضاهين على الحياة الطيبة حتى كانهم اسرة واحدة بل لقد جلت عن ذلك حتى صيرت الغنى مبتذلا بكثرة ما اوجدت من اسبابه ووسعت من دائرة الامل بالحصول عليه كما انها جعلت هذا الغني محدود القوة بعد ان كان له كل الحول والطول وهي ولا شك منافع تزيد جداً عن منافع البداوة وما فيها من البساطة الجميلة التي يقلدها المتحضرون الان تقليداً ويهربون اليها من الحضارة حرباً كلما امكنتهم الفرص بل ان البعض قد ضايقتهم الحضارة جداً حين نظرهم الى كل الناس حتى افرطوا بالتفلسف بان البداوة كانت انفع او ان بعض الجهل قد صار خيراً من كل العلم وقد يكونون على جانب من الصواب حين النظر الى ما جاء به العلم من المضار

ولقد انبرى البعض الى هذا البحث فذكر ان اشد ما ولدته المدنية والعلم للانسان هو تماديه معهما في قلة الوفاء والامانة ولذلك صارت الخيانات فاشية جداً بين الجميع حتى صار من لا يعتمد عليها في شؤون معاشه عد ساذجاً مغفلا او نال قصاصه لاهمالها من فرط ما يوءذي به من الخائنين الكاذبين

ولقد كانوا يتوهمون وهم لا يزالون للان ان اطلاق العلم بين الكل وجعله الزامياً مما يقلل من شرور الناس اذ يولد فيهم الخجل من ارتكاب الدنايا حتى ظهر ان ذلك ليس بصحيح وقد يظهر فيما بعد ان ذلك ينقض ما كانوا يعتقدونه تماما فانه قد بدا من احد التقاويم التي صدرت في بلاد الانكليز بلاد العلم المطلق والحرية التامة ان نشر العلم لم يكن مقللا الا من ارتكاب الجرائم العظمى فقط كالقتل ونحوه ولكن كأنه عزت عليه تلك القلة فاعاضها بكثرة ما هو اخف منها كالسرقة والخيانة والكذب والنميمة وما يشابه ذلك من مساوىء الاخلاق والمخازي

ثم انهم يقولون انه لو بني بمثل السجون مدارس لما كان في الدنيا سجون ولكنه تبين من ذاك التقويم انهم كلما اكثروا المدارس اضطروا الى الاكثار من السجون بسبب ما تقدم من اعانة العلم للشر وتوليده له وذلك لانه ظهر ان معدل عدد المسجونين في السنوات الخمس ببلاد الانكليز كان ١٤٨ الف نفس فلما زادت المدارس والعلم بعد ذلك زاد عددهم حتى اصبح ١٩٨ الفاً في السنة الماضية وهي زياده قد اضطروا من اجلها لبناء بعض السجون او توسيعها في حين هم قد زادوا ايضاً من بناء المدارس ولهذا صار يصح ان يقال انه يجب ان يقام سجن حيث تقام عدة مدارس

اما الجرائم الكبرى فقد قللها العلم كثيراً وهي تتناقص هناك تناقصاً فاحشاً وتزيد على اثرها الذنوب الصغرى التي ذكرناها وهي دون ريب تعد ادهى اذا نظر الى تأثيرها وكثرتها . الا اننا لا نذكر هذا من اجل بلاد الانكليز البعيدة عنا وانما نذكره من اجل هذه البلاد فاننا نجد العلم ينتشر فيها سريعاً والكتاتيب تنشأ بكل مكان بها من الحكومة ومتبرعات الموسرين ولكن الذنوب مع ذلك لا تقل وقد لا تقل حين يكبر المتعلمون بها لانها اذا كانت تصدهم عن احراق المزروعات والقتل وتسميم الماشية ونحوها من الجرائم الكبرى فقد تعينهم عوناً كبيراً على الكذب والشقاق ومساوىء الاخلاق لانهم يصبحون متحضرين وقد طلبت نفوسهم نيل امانيها فما استطاعت الا بمجاراة امثالهم المتمدنين الذين يرتزق اكثرهم من طرق الحرام وانه من اجل هذا قلنا ان العلم يجب ان يكون محدوداً جداً وان ينظر فيه الى حالة المتعلم واهله حتى لا يصبح كالظمآن اذا شرب نهلته مات او مرض . فعلى اولي التدبير بيننا ان يمدوا انظارهم في هذا الميدان ويحتاطوا لاولاد الفلاحين فلا يعلموهم الا ما ينبغي كما اشار جناب اللورد كرومر في احد تقاريره والا ازدادت احوال البلاد سوءاً وكثرت فيها الذنوب البسيطة التي تقتضي السجون المركبة وانما هي تزداد لما يولده العلم من الانفة وكثرة الآمال لمشتهيات لا تكفي الجميع فيحصل التنازع عليها بطرق الغش والخداع وسائر صنوف الاذى وانه لو كانت الحكومة تدقق في البحث حين التقويم والتقدير لوجدت ان الامي اقل ارتكاباً للذنوب من سواه

﴿ غرائب السباق ﴾

لقد امعن الاوربيون في تفننهم بالسباقات والمعارض ونحوها حتى بلغوا من ذلك الشأو البعيد واتوا منه بكل بديع غريب فهم يتسابقون بخيولهم ومركباتهم وارجلهم وكلابهم ويتنافسون بجمالهم وقبحهم بين نسائهم ورجالهم واطفالهم حتى لقد روى احد برد هذا الشهر انهم استعرضوا الاطفال في نيويورك فجاؤا بعشرة الاف طفل ليروا ايهم اجمل فينال الجائزة ولهم في ذلك اساليب شتى لا يضبطها قلم ولكن ذكر بعضها مما يدعو الى التفكه ويدل على ما بلغ اليه اولئك القوم من الكمال لان الذين يتنافسون بكلابهم وقططهم يكونون بالطبع قد بلغوا مما هو اهم من ذلك شاواً بعيداً

ولقد رووا عن الفرنسويين انهم اسبق اهل الارض طراً في التفنن بالسباق كما هم اسبقهم في كل علم وفن جميل وقد كان في جملة ما حدثوا عنهم آخراً انهم استبقوا للصعود الى برج ايفل في باريز وكانت المسابقة بين ثلاثمئة مستبق على سلم يبلغ عدد درجاته ٩٢٩ درجة وهو الموصل الى الدور الثاني من البرج على علو ٣٧٣ قدماً وقد انقسم المستبقون الى اربعة اقسام ليسهل صعودهم فاستبقوا وكان السابق منهم رجل يدعى مينو فانه وصل بمدة ثلاث دقائق وثلاث ثوان ولكنهم وجدوه قد خالف شرع السبق في صعوده فحكموا بالسبق لغيره وقد صعد بمدة ثلاث دقائق واثنتي عشرة ثانية

ومن السباقات التي اجروها هناك سباق بين بعض الرجال والنساء

على قطع مسافة تبلغ ميلين ونصف ميل بشرط ان يجرى المتسابقون زوجين زوجين متعاقدي الايدي وقد جعلت لهم في طريقهم بعض العقبات ليعسر عدوهم ويرى من كان ابصر منهم في اتقاء جهة العقبة او اجتيازها وقد كان الشرط في ذلك ان لا تحل الايدي المتعاقدة الا في بعض حالات كأن يسمح للرجل حين اجتياز العقبة ان يحل يده من يد المرأة ويمسك بخصرها ليعينها على العبور وقد كان السابق في هذه المسافة زوجان اجتازا المسافة بمدة ثماني وعشرين دقيقة

الا انه مما يذكر من غرائب السباق ما جرى في فيلادلفيا وهو الاستباق على فتح المحار واعطاء الجائزة للاسرع وقد كان السابق في هذا المضمار الغريب رجل فتح مئة محارة بمدة ثلاث دقائق وثلاث ثوان وجرى سباق مثل هذا على فتح القناني ففتح احدهم ٤٤٩ قنينة في مدة نصف ساعة فسجل له انه كان اسرع فاتح لها

هذا طرف يسير جداً من ذكر السباقات المتعددة الغريبة التي تجري في اوروبا وقد بقي منها انواع اكثر غرابة كالمسابقة على وسم الكتب في ادارة البريد وارسال الكلمات بالتلغراف وبناء البيوت وصنع الملابس والاحذية فضلا عن المسابقة في الاكل التي تفضي احياناً الى موت الآكلين من فرط اسراعهم وكثرة اكلهم ولكن للاوروبيين ولوعاً عظيما في هذه الشؤون مهما كان فيها من المخاطر كما انها على تفاهتها وقلة النفع من اكثرها تعد دليلا كبيراً على مدنيتهم وهممهم وكونهم قد افنوا الشؤون الجدية بكثرة ما ابدعوا فيها حتى وصلوا الى الهزليات والاستباق في مضاميرها واما في بلادنا فلا يوجد الا مسابقة الخيول فقط وهي قديمة